

أزمة الرعاية الصحية والأطفال في غزة

بقلم ميريام جارفينكيل وريم عبد القادر

أزمة الأطفال في غزة

رغم تفكك المستوطنات الإسرائيلية والقواعد العسكرية الدائمة في غزة في صيف 2005، استمر الاحتلال الإسرائيلي. بحسب تقرير جيشا وهي جماعة الحقوق القانونية التي تتخذ إسرائيل مقرا لها، استمرت سيطرة إسرائيل على النطاق الجوي لغزة كذا المياه وحركة السلع والأفراد بها وحدودها ونظمها الضريبي وسجل سكانها.

كانت كندا من أول الدول التي منعت أموال التبرعات عن السلطات بغزة بعد انتخابات 2006 في غزة، مما أدى إلى تدهور حالة السكان بالقطاع. تعد غزة من أكثر المناطق كثافة في العالم، حيث يعيش نحو 1.25 مليون على مساحة 365 كم². يعاني ثلثي السكان من الفقر و40% من السكان عاطلين عن العمل. كذلك يعاني القطاع من ندرة المياه والطعام. لا تعمل شبكة الصرف الصحي بالكفاءة المطلوبة.

بحسب مقال الدكتور روبرت هورتون، المحرر بجريدة "لانسيت"، في "نيو يورك ريفيو أوف بوكس"، هناك نقص حاد في الفرق الطبية والعيادات الطبية غير متاحة لقطاعات عريضة من السكان. كذلك من الصعب الحصول على الأدوية.

نظرا لأن 60% من السكان بغزة أقل من 18 سنة فاستمرار الصراع يؤدي إلى إصابة الأطفال بالتلوث والاكتئاب. أوضح مسح لتعادل الأطفال الذي قام به برنامج الصحة العقلية بغزة ونشرته جمعية أطباء النفس العالمية عام 2004، أن أغلب الأطفال الذين تقل أعمارهم عن 11 عاما يعانون من أعراض متعددة تبين أنها لمرض اضطراب ما بعد الصدمة.

لوحظ إصابة عدد متزايد من الأطفال تتراوح أعمارهم ما بين التاسعة والعشرة بالتبول اللاهادي والمعاناة من النوم المتقطع والفرز الليلي. يعاني هؤلاء الأطفال من للتلوث الزائد عند هؤلاء الأطفال تقلب المزاج والقلق والنشاط الزائد، بالإضافة إلى أعراض أخرى.

هدم أكثر من 5000 منزل في غزة منذ عام 2000. شهد 99% من الأطفال الذين ضمهم المسح آنف الذكر قذف منازلهم. لقدان البيت عظيم الأثر على الأطفال، فالبيت يرتبط بمعنى الأمان والراحة. غالبا ما تقوم القوات الإسرائيلية بغارات على المنازل وتدميرها. يفقد الأطفال، الذين يشاهدون عجز والديهم عن حمايتهم من تلك الهجمات، الشعور بالأمان ويصابون بالقلق.

كذلك بحسب المسح فإن 96% من الأطفال شهدوا حوادث قتل أو قتال أو إنفجارات غالبا ما قتل أو أصيب من جرائها مدنيون. أصبحت القابل الصوتية والأصوات المرتفعة للغاية لتحليق الطائرات الأسرع من الصوت من مظاهر الاحتلال الإسرائيلي، حيث تحلق القوات الجوية

الإسرائيلية فوق المناطق المكتظة بالسكان، خاصة أثناء الليل وفي الساعات الأولى من الصباح. تقدمت مؤسسة أطباء لحقوق الإنسان برنامج الصحة العقلية بغزة بالتماس للمحكمة الإسرائيلية العليا من أجل منع هذه العمليات الجوية.

لقد تعرض الأطفال على مدار سنوات لتهديدات أفراد القوات المسلحة والدبابات الإسرائيلية بشكل يومي. كان على الأطفال أن يمرروا عبر نقاط تفتيش عشوائية في طريقهم إلى المدرسة وتتعرض مدارسهم لهجوم بالغاز والذخيرة الحية.

قد لا يكون مصطلح اضطراب ما بعد الصدمة دقيق في حالة أولئك الأطفال، حيث لا يوجد "ما بعد" فالصدمة لا تنتهي وتنتشر. يتلقى أفراد الرعاية الطبية تدريب على التعامل مع الصدمة العاطفية بتوظيف عوامل داعمة وحامية في حياة الطفل، لكن في حالة غزة من الصعب إيجاد هذه العوامل، حيث لا يوجد مكان آمن.

انتشر هذه الأيام خبر الجنود الكنديين في أفغانستان الذين تلقوا تدريب على الحرب. أصيب عدد كبير من هؤلاء الجنود بصدمات نتيجة مشاهدة إصابة ومقتل رفقائهم أو لمعاناتهم من الإصابة أو المخاطر. تستمر الصدمة لفترة طويلة بعد انتهاء التجربة وعودتهم سالمين، فترى ما حال هؤلاء الأطفال الذين يعيشون تلك التجارب اليوم تلو الآخر والأسبوع تلو الآخر بلا نهاية وبلا مكان آمن.

نحن كمختصين كنديين في الرعاية الصحية، أزعجنا هذا الوضع للغاية وأثار قلقنا على مستقبل سكان غزة، خاصة الأطفال. ما هي آثار هذه الصدمة طويلة الأمد التي لا تنتهي؟ ما الذي نستطيع فعله حيال ذلك كمختصين كنديين في الرعاية الطبية؟

يناضل مقدمي الرعاية الطبية في الميدان، مثل د. مني الفرا ود. إياد الساري، لسنوات طويلة من أجل توفير قاعدة أساسية للرعاية الصحية والعقلية في غزة، مواجهين بذلك الاحتمالات المتزايدة. لقد عملنا مع مجموعة من الفلسطينيين واليهود في تورنتو لتنظيم حملة تبرعات لدعم العمليات الجراحية التي تقوم عليها منظمة الرعاية الصحية والتي يشترك فيها أولئك الأطباء. وكذلك نحن مصممون على أن تستأنف الحكومة الكندية تمويل غزة بل وتزيد قيمته أيضا.

ذلك نطالب إسرائيل بالتوقف عن ممارسات العقاب الجماعي المستمرة بحق المدنيين، والتي تمثل انتهاك صارخ للقانون الدولي. أي معالجة لهذا الوضع الفظيع غير ممكنة إلا بإنهاء الاحتلال الإسرائيلي لغزة والضفة الغربية.

هناك كارثة واضحة خاصة بالصحة العامة والصحة العقلية في غزة تتنامى بشكل سريع. لدينا جميعا التزام أخلاقي، كبشر كنديين كنا أو يهود أو فلسطينيين، بحماية هؤلاء الأطفال وتوفير مستقبل قابل للعيش، فالبديل لا يمكن تصوره.

26 مارس 2007

مريم جارفينكيل وريم عبد القادر متخصصين في الرعاية الصحية من تورنتو.